بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى هذه الرسالة

لقد سعدت سعادة غامرة بهذه الرسالة القيمة التى خطها طبيب قلب شاب، تحدث فيها عن معجزة القرآن العظيم حديث عالم فذ متخصص فى علوم العربية والدين، وقدَّم للقارئ نفحات ولمحات رائعة انبثقت من نفس مؤمنة صادقة الإيمان. وقدم المادة العلمية التى حوتها هذه الرسالة فى أسلوب بديع جذاب يعتمد على الحوار المكثف بين طرفين بدآ على حالتى نقيض: إن نفى أحدهما أمراً أثبته الآخر، وإن أثبت أحدهما أمراً نفاه الآخر.

ومن يقرأ هذه الرسالة بوعى وأناة يدرك أن المثبت فيها هو الحق، وأن المنفى فيها هو الباطل.

حقًا لقد أثبت الدكتور بهاء الأمير أنه يطب القلوب من جهتين:

يبرؤها من عللها العضوية، وأمراضها المادية، التى غايتها القصوى أن تميت «الجسد».

ويبرؤها من عللها غير العضوية كالشك والريبة والزيغ والضلال، وهذه علل غايتها القصوى أن تميت «الروح». وموت الروح هو الموت الحقيقى، لاموت الجسد. حفظ الله كاتب هذه الرسالة، وزاده علما وتوفيقا. فهو – بحق – حسنة من حسنات الإسلام.

القاهرة فى ٢٩ / ٦ / ١٤٢١هـ

٢٧ / ٩ / ٢٠٠٠ م

أ. د/ عبد العظيم المطعنى

جامعة الأزهر

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى أنزل كتابه ليكون للعالمين نذيراً، وجعله رسالة ومعجزة رسول، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأشهد أن محمدا عبده ونبيه، لا نبى بعده.

وبعد

فهذا كتاب رقيق عميق حول وارف إعجاز القرآن الكريم يذكرنا بكتب أخرى ألقى الله عليها القبول، ونفع الناس بها من كل سن، ومن كل مستوى علمى، ومن كل جيل، يذكرنا بتلك الكتب التى يعيش فيها قارئها فلا يمل قراءتها ولا ينتهى من معينها، ويحب أن يتمها فى وقت واحد فتمضى الساعات وهو لا يشعر بها ولا يريد أن يفارق كتابه هذا. يذكرنا بقصة الإيمان لنديم الجسر حيث يدافع فيه عن قضية الإيمان بالله ورسوله بأسلوبه السهل الممتع الآخاذ الساحر.

وكتابنا اليوم يدافع عن قضية (إعجاز القرآن) كلمة الله الأخيرة إلى البشر التى تخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلم العباد بعضهم لبعض إلى عدل رب العباد ورحمته بهم. الكلمة التى جاءت مصدقة لما بين يديها من الكتب وجاءت مهيمنة عليها، تصحح ما انحرف منها وترد ما شرد أثناء نقلها، الكلمة التى تكفل الله بحفظها عندما أراد أن يجعلها الأخيرة للبشرية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقد قال فى نبيه: ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويعرض الكتاب إعجاز القرآن فى صورة رحلة فى عقل الإنسان الذى يريد الهداية ويسأل عن كنه ذلك الإعجاز وعن كيفية الوصول إلى الاطمئنان التام والقناعة المستقرة بقضية إعجاز القرآن.

وكثيراً ما يكون الإيمان بتلك الحقيقة مستقراً فى قلوب المؤمنين لا يحسنون التعبير عنه أو استحضار أدلته وترتيب عناصره وحسن عرضه على الآخرين، وكثيراً ما يكون الشعور النفسى بتميز القرآن واضحاً جلياً عند المسلمين يعرفون به قداسته ويلتذون بطلاوته وحلاوته ويعرفون مخالفته لكلام البشر دون القدرة على نقل ذلك لأبنائهم أو الحائرين التائهين من البشر الذين يبحثون عن الحق ويطلبون الهداية.

وكتابنا هذا قد شمر عن الساعد لإظهار حقيقة إعجاز القرآن بحيث يخرج بعده قارئه وقد ازداد إيمانا ويقينا على يقينه واتضح له به كيف يظهر تلك القضية وكيف يبحث فيها، صاغه الكاتب النابه فى صورة حوار ليكون أكثر تشويقاً وأدق فى الإجابة على خطرات المعالج لهذه المسالة.

أرجو من الله أن ينفع به وأن يلقى عليه القبول وأن يكون ذخيرة فى المكتبة الإسلامية بجوار ما كتب عن مسالة إعجاز القرآن الذى هو إعجاز رسالة مستمرة إلى يوم الدين يخاطب به كل الأشخاص فى كل زمان ومكان وحال، معجزة باقية عبر الأيام لا كسائر المعجزات التى رآها من عاصرها فآمنوا على مثلها، بل معجزة قائمة بالتحدى لتكون دليلاً وبرهاناً على صدق الرسالة وصدق الرسول وبيانا لمراد الله من خلقه سبحانه حيث أراد منهم توحيده وعبادته وعمارة الدنيا والالتزام بشرعه.

فعسى أن يكون هذا الكتاب لبنة فى بناء الدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى حب نبيه ﷺ.

القاهرة: ١٥ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ

٦/ ٩/ ١٩٩٨ م

د. على جمعة

أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن فرقاناً، وجعله لكل شئ تبياناً، ونسبه لذاته، وأورثه من اصطفاه من عباده، وأبقاه أبد الدهر نوراً ومناراً وينبوعاً فياضاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده؛ شهادة نتزلف بها إلى مرضاته وندخرها عنده ليوم لقائه. والصلاة والسلام على الرسول النبى الأمى الأمين، رحمة الله للعالمين الذى لا ينطق عن الهوى، والنور الذى بعثه ربه بالنور وخلَّقه به فكان نوراً على نور.

وبعـــد ...

فإن القرآن هو خاتمة رسالات السماء إلى أهل الأرض ومعجزته الباقية الخالدة فيهم وحجته عليهم. وقد أودع الله فيه من الأسرار ما لا ينفد إلى يوم القيامة، وجعله نبعا مدراراً لا يزيده الزمان إلا تدفقاً ولا عكوف الخلق عليه إلا إفاضة وإدراراً. فهو كما وصفه المبعوث عليه الصلاة والسلام به:

« كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم.

وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه. وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتي قالوا: ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ** ﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ». رواه الترمذى.

ولأن القرآن هو خاتمة رسالات السماء إلى أهل الأرض فقد أودع فيه – عز

وجل - من وجوه الإعجاز ما يعجز كل عصر وأهله وما يكون إدلالاً في كل زمان بصدقه، ومن التحدي ما لو اجتمع الخلق إلى يوم القيامة وكان بعضهم لبعض ظهيراً لم يبلغوا منه إلا كما يبلغ التراب يرنو إلى السحاب.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وعلى كثرة ينابيع الإعجاز الفياضة في القرآن فإن البيان والبلاغة وفصاحة اللغة هي وجه الإعجاز والتحدي القرآني الأولُ الذي كان دليل صدق الرسالة في الأمة التي أنزلت عليها؛ بهت الله به العرب، وامتلك أفئدتهم، وأخضع ألسنتهم، وفتح به العالم أمامهم.

وهو الوجه من الإعجاز الباقي الخالد الذي لا يطويه عصر ولا يذهب بذهابه، وكل وجه من الإعجاز سواه فمنه ينهل وهو له نبع وأصل. وهو الوجه الملازم للقرآن الذي يكون به القرآن قرآناً ولا يكون قرآناً إلا به. فكل إعجاز سوى هذا الإعجاز هو في القرآن، وأما هذا الإعجاز فهو القرآن نفسه.

ولا تثريب على أهل عصر أو زمان إذا فاتهم وجه من إعجاز القرآن سواه يستدركه أهل عصر وزمان يلحقه، ولا معذرة لهم إن فاتهم إدراك هذا الوجه الذي لا يكون القرآن معجزة - بإطلاق - إلا به ولا سبيل لإدراك وجوه الإعجاز الأخرى إلا من بابه.

وقد يختلف المختلفون حول وجوه إعجاز القرآن الأخرى بين مؤيد لاعتبارها ومشفق من تبعاتها، ولكن المعجزة البيانية اللغوية هي ما لا يمارى فيه أحد ولا يستطيع، فهي الوجه من المعجزة القرآنية الذي خص الله - عز وجل - به قرآنه نصاً، وتحدى به العرب والعجم والإنس والجن تعييناً، ولن يفهم أحد القرآن ولن يقدره حق قدره ويعرف له شرفه إلا إذا عرف كيف هو معجزة في وجهه البياني اللغوي.

نعم! قد يبجل آلاف وملايين من المسلمين القرآن ويقدسونه ويقرون

بإعجازه، ولكنه تبجيل وتقديس وإقرار الوارث لما ورثه عن آبائه لا إجلال وتعظيم وسجود العارف المستنير. وشتان بين هذا وذاك! وليس من علم كمن جهل!.

وزاد الطين بلة أنه حتى هذا القدر الموروث المتناقل فى ناسلاتنا من جيل إلى جيل من الإعظام والتقديس والتبجيل أصبح عرضة للاهتزاز والقلقلة فى نفوس بعض المسلمين؛ تنتابهم الوساوس وتتلجلج فى رؤوسهم الهواجس؛ يستفهم عنها قليل، ويخفيها - حرجاً - كثير، ويستعلن بها - تشكيكاً - فى وقاحة بعض من ينتسبون للإسلام وليسوا منه فى شئ. ولم تعد ناسلات الأبناء والأحفاد فى نقاء وصفاء ناسلات الآباء والأجداد، وإنما أصابتها الهُجنة النفسية والعقلية واللسانية.

فقد نُحى القرآن من المجتمع ووضع على الرفوف وصدور النساء العَارية!، وتوالت أجيال وأنسال ما ترى فى شئون الحياة ولا القوانين ولا السلوك والأخلاق ولا المجتمع والناس من القرآن شيئًا. ففقد القرآن سلطانه على القلوب والنفوس وأصبح غريبًا بين أهل ما وجدوا ولا كانوا ليكونوا إلا به. وليس سلطان الآمر النافذ فى النفوس كسلطان المعزول المنحى، إلا عند من عصم الله به وهدى منه، وقليل ما هم. والعربية التى لا سبيل لأن يقدر القرآن حق قدره إلا بها قد تكالب عليها أعداؤها والسفلة - وإن علوا - من أهلها وما هم بأهلها. فضرب عليها الحصار وأقيمت حولها الأسوار، وحيل - بكل السبل - بين الألسنة وبينها، وربيت أجيال من أهلها على الإيقان بقصورها ودناءتها حتى نعت على ألسنة الشعراء نفسها:

رموْنى بعقم فى الشباب وليتنى عقُمت فلم أجزع لقول عُداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى رجالاً وأكْفاء وأدت بناتى

وثالثة الأثافى: القرآن نفسه ووجه الإعجاز الذى لا يكون القرآن معجزة إلا به استأمن أعداءه بغربته بين أهله فسددوا له السهام وتكالبوا عليه والأوشاب تلميحًا وتصريحًا، مقالاً وكتابًا حتى جردوا موضعا على شبكة الاتصال الدولية

(الإنترنت) ترصد الجوائز لتقليد آياته، يشحذ هممهم جهل فشا وعلم خبا. وما على القرآن يخشى وقد تكفل به العزيز الحكيم ولم يكل إلى أحد حفظه وصونه ولا المدافعة والمنافحة عنه.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

وإنما يخشى على مسلمين تُركوا في العراء تتنازع مقام القرآن في نفوسهم عواصف هوج من كل رجو، ولم يعد ما ورثوه عن آبائهم من التقديس والتعظيم يثبت في قلوبهم ما كان يثبت في قلوب آبائهم.

إذًا! إذًا فلابد أن يعرف المسلمون القرآن نفسه ويفهموا لماذا هو معجزة وكيف هو معجزة. ولكن كيف يعرفون؟ وكيف يفهمون؟.

ألا ما أكثر ما كتب عن إعجاز القرآن في بيانه وبلاغته وفصاحته، وما يخلو عصر من كتاب وكتب في الإعجاز القرآني.

هنا المعضلة!

فإن علماءنا - رحمهم الله تعالى - لم يروا في إعجاز القرآن إلا علماً للخاصة كما نص على ذلك غير واحد منهم. فهم ياخذون منهم ويردون عليهم، والمسلمون - عامة المسلمين - عن ذلك بمنأى؛ يرضيهم ما يجدون في السنتهم من حلاوة القرآن وما يحسونه في نفوسهم من إعجازه ومفارقته لكلام البشر. ولأن علماءنا - رحمة الله تعالى عليهم - رأوا الإعجاز علم الخاصة الذي ليس من شأن العامة معرفته ولا فهمه، فقد كثرت في كلامهم عنه المصطلحات والتقعيد والتنظير للبلاغة والبيان القرآني، فلا يقرأ أحد من غير الخاصة صفحة إلا وهو يتعثر فيها وتثقل عليه، ويحار في نسبة الضمائر لما تعود عليه، ويتوه بين أول الكلام وآخره، ويكاد لا يجد القرآن نفسه، وإذا وجد منه شيئاً كان في آخر الاصطلاح والتقعيد والتنظير استشهاداً لا يعرف ولا يستطيع فهم العلاقة بينه وبين ما استشهد به له. وأنكى من ذلك لا يحس به رونق القرآن وبهاءه ورواءه وأثره في النفس وطلاوته في اللسان الذي ربما أحسه حين يخلى بينه وبين القرآن

نفسه. وبهذه الطريقة فى بيان الإعجاز القرآنى يستغلق على المسلمين – عامة المسلمين – بل على الناس جميعاً – والله عز وجل إنما أنزل القرآن يخاطب البشر كل البشر – يستغلق عليهم معرفة كيف يكون هذا القرآن معجزة فى بيانه، ويصير حالهم معه كالأعرابى الذى مر يوماً على جماعة من النحاة يتجادلون فى النحو بالمصطلحات والقواعد وليس فى كلامهم شئ من العربية التى يضعون النحو ويتجادلون فيه من أجلها! فما كان من الأعرابى – صاحب اللغة – إلا أن نظر إليهم شذراً مستنكراً وقال: ما بال هؤلاء يتكلمون فى كلامنا بما ليس من كلامنا!!

وما نعيب على علمائنا – رحمهم الله تعالى – وجزاهم الجزاء الأوفى قدر ما وضعوا العلوم ومهدوا الطريق وذللوا الصعاب بهذا الاصطلاح والتنظير والتقعيد. ونحن ما نرد إلا إليهم ولا نصدر إلا عنهم.

لذلك!

ليس من المبتغى – عندى – أن أضيف كتاباً فى إعجاز القرآن إلى ما سبق أن كتب ولا أن أخاطب الخاصة فقط. وإنما مبتغاى ومرادى كتاب يتوجه إلى المسلمين – عامة المسلمين – قبل خاصتهم. بل وأزيد فأقول من بين المسلمين – عامة المسلمين – صنفان كتبت من أجلهما وأرجو من الله أن يصل ما كتبت إليهما.

الأول: مستفهم يريد أن يفهم.

والثانى: شاك يريد أن يتثبت.

ولا أنكر صنفا ثالثاً توجهت إليه بما أكتب عسى أن يقع منه حيث أبغى وأرجو. وهو غير مسلم يسمع وبه فضول لأن يعرف.

ماذا؟

يفهم ويتثبت ويعرف: كيف يكون الكلام – وكل الناس تتكلم – وكيف يكون الكتاب – وكل من خط بقلم على ورقة يُدَّعى كاتباً – معجزة فى نفسه؟

كيف يكون رصف وسبك الحروف والكلمات والجمل – وهى مادة مبذولة لكل من له لسان – فوق طاقة البشر كل البشر.

فإذا بلغت ممن أخاطب ما أصبوا وأبغى رمت منه شيئاً آخر: أن أصل به إلى

أن يقف أمام آيات القرآن ويعرف كيف يتأمل فيها هو نفسه؛ فإذا وجد آية تشبه آية أو تخالفها تمهل عندها متفكراً باحثاً عن الإعجاز فى الائتلاف وفى الاختلاف.

فإن لم يكن، أيقن بالدقة الهائلة والتناسق فوق الطاقة وإن قصر عقله عن إدراكهما.

وإذا سمع أو قرأ لعى دعى يعيب فى القرآن آية أو لفظاً أو ادعى – من جهله – القدرة على تقليده وقف وعلم أن فى الكلمات والحروف أسراراً إن لم يكن من أهلها وأراد الفهم والتثبت فليبحث عنها عند أهلها.

ولأن هذا الكتاب يخاطب المسلمين – والناس – عامة وهذه الأصناف خاصة، ولأن هذا ما أبتغيه منه فقد آثرت أن أخلى بين القارئ والقرآن ليكون الحديث عنه منه وليكون بيان إعجازه به.

فلا سبيل لبيان معجزة القرآن إلا القرآن نفسه.

ولربما فاتنى ما قصدته من أن تكون قضية الإعجاز القرآنى مبسوطة مفهومة لكل من خاطبهم القرآن – وما جاء القرآن إلا خطابا للناس جميعاً – لولا وجود صديقى العزيز الذى رافقنى وبارزنى.

صديقى العزيز المشاغب بأفكاره ومشاغبته متعة، الحاد فى مواقفه وحدته إثارة، المشاكس فى حواره ومشاكسته جذابة شائقة.

صديقى العزيز الذى أرهقنى وأجهدنى ولكنه أمتعنى بما ارتاد بى من الخبايا بتساؤلاته، وبشكه وتثبته طلبا للرضا، وإقراره بالحق إذا تجلى. والذى أشجانى قرب فراقه فأبت على نفسى إلا أن أتوحد به بدلاً من أن أفترق عنه.

ويبقى رد الجميل لأهله.

فأما الفضل فى هذا الكتاب – بعد الله عز وجل وما أفاض به وأسبغ – فللأستاذ الدكتور على جمعة الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف.

فضل هو رحابة صدر، وطلاقة وجه، وإفساح وقت، وفيض علم، وتمحيض نصح. ولا جزاء عندى يكافئ سعة هذا الفضل إلا أن أرجو له أحسن الجزاء من واسع فيض رب السماء.

وأما الفضل فيما وراء هذا الكتاب فلما نهلت منه وأنهل، ونعمت به وأنعم، من اللُقيا والتلقي عن البصير قلبه بنور ربه، الغنى بالعلم ومقصد طلابه، الشريف بالقرآن وموئل قُصَّاده شيخي ومولاى وسيدى: عبد الحميد بن يوسف منصور مد الله فى عمره ونفعنا بعلمه، ومتعنا برفقته وعمنا ببركته.

وأما من لا يوفيه حقه قلم ولا لسان فوريث الأنبياء وتقى العلماء، القوال الفعال الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف.

عرضت عليه الكتاب لنقده فما كان منه بعد أن قرأه إلا أن قال: كتابك روعة يا دكتور!

فلما أطرقت وغضضت الطرف خجلاً من إطرائه هتف بى: هذه ليست مجاملة يا دكتور؟ فلو كتب هذا الكتاب أحد من أهل الأزهر وعلمائه لانحنينا له، فكيف وأنت لست من أهل الأزهر ولا من علمائه.

ثم لم يكفه ما أسبغ من ثناء وأجزل حتى أخذ الكتاب ليسعى به هو نفسه على علو مكانه وجلال مكانته عند الناشر، فيعرضه عليه ويحببه إليه، ولا يزال يواليه ذهاباً ومهاتفة حتى «حنت نياقه»!

أبقاه الله عز وجل فى الأزهر عَلَمًا وللإسلام عِلماً وعملاً، وادخره للعلم نبعاً ولأهله عونًا ودعماً.

وجاء أوان أن أترك القارئ الكريم يرتحل مع توأم نفسى وقسيم عقلى: صديقى العزيز.

ولله الحمد أولاً وآخراً.

د. بهاء أحمد الأمير

ربيع الثانى ١٤١٩ هـ

أغسطس ١٩٩٨ م

(*) لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر وعميق الامتنان للصديق العزيز د. **مدحت أبو الفتوح**، والذى كان أول من قرأ هذا الكتاب مخطوطًا وقت كتابته، قرأه فصلاً فصلاً، وبعض موضوعاته كان من اقتراحه.

كذا أتوجه بالشكر للصديق العزيز **د. حسن عبد المتعال**، الذى بذل مجهوداً مضنياً فى نسخ مخطوطة هذا الكتاب على الحاسوب (الكومبيوتر).